حركة ابن رفادة وملابساتها

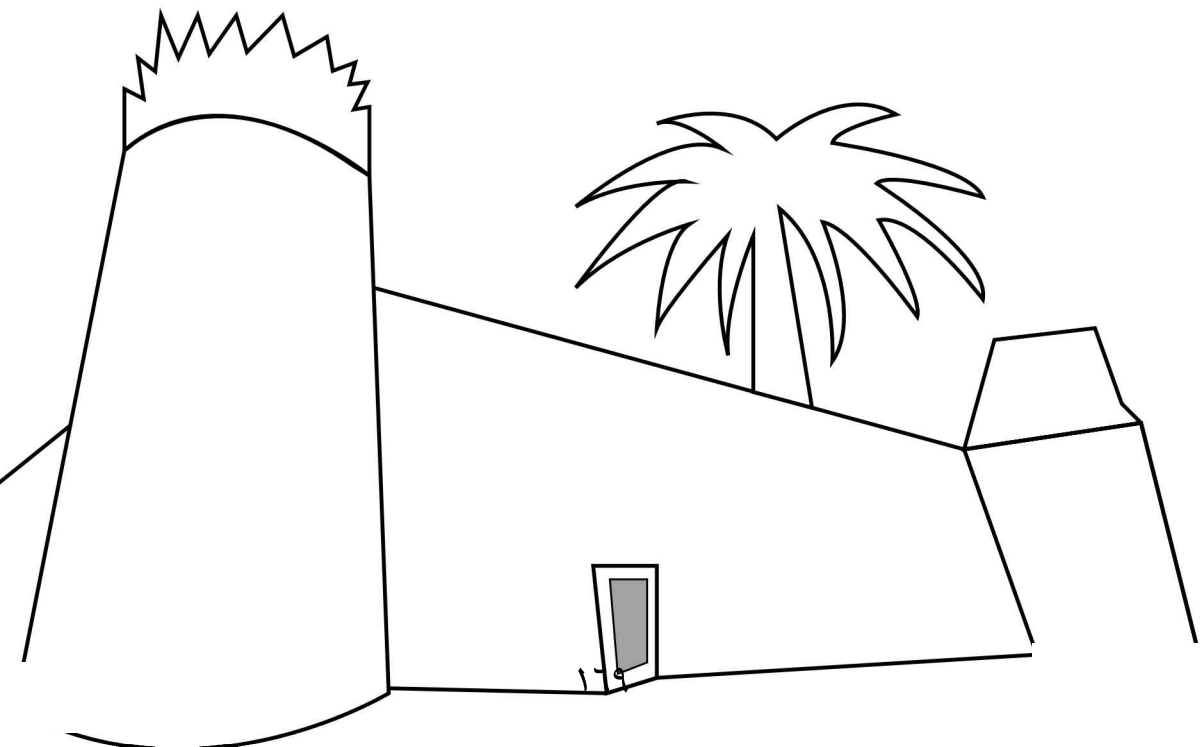

كان ملك الأردن، عبدالله بن الحسين، ممن ساءهم ما حَقَّقه الملك عبدالعزيز من نجاح؛ خاصة في منطقة الحجاز. فاتَّصل بحسين الدباغ، الذي كان فارًّا من هذه المنطقة بعد دخولها تحت الحكم السعودي، وشَجَّعه على تأليف حزب ضد هذا الحكم، ووعده بالتأييد المادي والمعنوي[١]. وتألَّف الحزب من عدد من الحجازيين في مصر، وأُسنِدت رئاسته إلى طاهر الدَّباغ، الذي كان حينذاك في جزيرة جاوة[٢]. وكان من أعضائه حامد بن رِفَادة، أحد زعماء قبيلة بِلي، الذي سبق أن قام بتمَرُّد في شمالي الحجاز عام ١٣٤٧هـ، ففشل وفَرَّ إلى مصر[٣]. وخَطَّط أعضاء الحزب ومن وراءهم أن يقوم ابن رِفادة بحركة في شمالي الحجاز، ويُرتَّب مع الإدريسي ليقوم بتمرُّد في جازان، ويثور مُؤيِّدو الحزب في المدن الحجازية الكبيرة[٤]. أما ما كان من أمر الإدريسي فقد سبق الحديث عن فشله فيما سعى إليه[٥]. وقد اعتقلت الحكومة احتياطًا من رأتهم مصدر خطر محتمل في الحجاز مدة قصيرة، ثم أطلقت سراحهم بعد زوال الخطر[٦].

وفي آخر سنة ١٣٥٠هـ سافر محمد بن رِفادة من القاهرة إلى عَمَّان حيث مُنِح الجنسية الأردنية. ثم عاد إلى مصر، وأخذ يُعدُّ رجال قبيلته الذين في تلك البلاد للقيام بحركة تَمرُّد في شمالي الحجاز. وتَمكَّن من الانتقال بهؤلاء من مكان إلى آخر حتى وصلوا إلى الشريح جنوب غربي العَقَبة داخل الأراضي السعودية[٧].

(١) الذكير، نسخة خاصة، ص١٢٢؛ الخطيب، ج١، ص١٩٩.

(٢) المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) الذكير، نسخة خاصة، ص١٢٢. وقد أورد أسماء أولئك الأعضاء الخطيب، ج١، ص١٩٩.

(٤) العقيلي، ج٢، ص٩٤٠.

(٥) انظر ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨ من هذا الجزء من الكتاب.

(٦) أوردت أسماءهم مصادر متعددة منها الذكير، نسخة خاصة، ص١٣١؛ الخطيب، ج١، ص٢٠٣؛ العقيلي، ج٢، ص٩٤٥.

(٧) الذكير، نسخة خاصة، ص١٢٢. وهو أوفى مصدر عن تلك الحركة. وكان في مقدمة من انتقلوا مع ابن

ومكثوا هناك أكثر من شهر كانت تأتيهم المؤن والأسلحة خلاله من الأردن[١]. ولما علم الملك عبدالعزيز بذلك أَعدَّ للأمر عُدَّته، فأمر الأمير عبدالعزيز بن مساعد أن يبعث سرايا من قبائل المنطقة الشمالية إلى جهات مُعيَّنة وتنتظر حتى تأتيها التوجيهات، وأمر جماعات من الإخوان؛ خاصة عُتَيبة، أن ترابط في الطائف، كما أمر بأن تكون القوات النظامية في الحجاز مستعدة[٢]. واتَّصل بالحكومة البريطانية يطلب منها التقيُّد بمعاهدة حَدَّة، فأصدر ممثلها في الأردن بيانًا ذكر فيه أنه سيقوم بمنع أَيِّ مساعدة للمناوئين للملك عبدالعزيز[٣]، وأصدر ملك ذلك القطر بيانًا مماثلًا؛ بناء -فيما يبدو- على مشورة بريطانية[٤].

ويبدو أن من أهداف عدم مسارعة الملك عبدالعزيز إلى مهاجمة ابن رِفادة معرفة ما إذا كان له أعوان داخل البلاد، وخوفه من أن يَفرَّ إلى خارجها لأنه كان قريبًا من حدودها. فلما اطمأن إلى الموقف أوعز إلى كبار القبائل في شمال الحجاز أن يَتَّصلوا بذلك المُتمرِّد معربين عن تأييدهم له استدراجًا له[٥]. ونجحت تلك الخُطَّة، فَتوغَّل في البلاد حتى اقترب من جبل شار، الذي يبعد عن ضبا بحوالي خمسين كيلًا[٦]. وكان الملك عبدالعزيز على علم بتَحرُّكه، فَوجَّه القوات للقضاء عليه ومن معه. وكان على رأس تلك القوات عبدالله بن عُقيِّل،

رفادة ابناه، ومحمد بن عبدالرحيم أبو طقيقة. وقد دَبَّر عبورهم الحدود المصرية محمد رشيد فتوح، الذي كان يقيم في السويس. وأورد أسماء بعضهم وتواريخ عبورهم ذلك المؤرخ.

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. وكانت المؤن والأسلحة تأتيهم عن طريق حميد الكبارتي.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢٦؛ الخطيب، ج١، ص٢٠٤.

(٤) بل إن الخطيب ينص على أنه أُكرِه على ذلك، المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها.

(٥) الذكير، نسخة خاصة، ص١٢٧.

(٦) ابن هذلول، ص٢١١.

أمير الجوف حينذاك[1]، وابن مبارك أمير ضبا، ومحمد بن سلطان قائد الهجانة، وعبدالله بن حلوان، الذي كان مع القوة المرسلة بالسيارات من الطائف[2]. وقد بعث إليهم الملك برقية أوضح لهم فيها الطريقة التي يمكن أن يسيروا بموجبها[3]. وسارت القوات حتى أحاطت بابن رِفادة ومن معه في جبل شار في السادس والعشرين من ربيع الأول، عام ١٣٥١هـ. وفي منتصف ذلك اليوم بدأت بمهاجمته، وحاول الهروب مع عدد من أعوانه. فلما تجاوزوا سفح الجبل اعترضهم ابن حلوان ومن كانوا معه في السيارات، فقضوا عليهم. ولم ينج من الأربع مئة مقاتل الذين كانوا في الجبل المذكور إلا حوالي ثلاثين طوردوا فيما بعد، وقُضِي عليهم[4]. وبذلك انتهت تلك الحركة.

*****

(١) وابن عقيِّل من قصر ابن عقيِّل المشهور في القصيم. وكانت القيادة العامة له.

(٢) الذكير، نسخة خاصة، ص١٢٨.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) المصدر نفسه، ص ص ١٢٩ - ١٣٠.